المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات ISSN 2602-5663
المجلد 02 - العدد 08 - شهر سبتمبر - السنة 2019

الشعر الشعبي ودوره في تعزيز الهوّية والانتماء

شعر نذير بلفضيل أنموذجا

د/ عثماني عمّار – المركز الجامعي غليزان–
48amarradio@gmail.com

تاريخ الارسال: 2018/12/24 تاريخ القبول: 2019/07/21 تاريخ النشر: 2019/09/15

ملخص:

يتميّز الشعر العربي عن غيره بخصائص تضبطه وتجعله ملكا لأهله، فقد قالوا قديما: إنّ الشعر ديوان العرب، ومعنى هذا أنّنا نستطيع التعرف على واقع العرب وخصوصية انتمائهم وهويّة سلوكهم وثقافتهم من خلال الشعر. وإذا كان هذا ما يلزم الشعر الفصيح، فإنّ خصوصية البناء في الشعر العامي تشركه وتختلف معه، إذ إنّ يكمن في التعبير عن الهوية والانتماء، وأنّ الاختلاف يتمثل في أنّ الفصيح رابط أمّة، والعاميّ رابط وطن.

بناء على هذه الفكرة الافتراضية يأتي عملنا بغية معرفة الكيفية المثلى التي يسهم فيها الشعر الشعبي في خدمة موضوع الهويّة. التي لطالما تغنى بها الشعراء والخطباء والصحفيون والسياسيون، وكل من يمتهن الكلمة، في مجتمع يناشد هويّة الوطن، فأصبح تماسك أفراده من الأولويات التي تخدم بناء المجتمع.

ومن ثمّة فإنّ هذه الورقة العلمية تحاول أن تتوقف عند عن ماهية الشعر الشعبي ودوره في تثبيت وإرساء معالم الهوّية الوطنية في المجتمع الجزائري، وتتخذ من شعر **نذير بلفضيل الغليزاني** أنموذجا في التطبيق، من أجل الكشف عن الكيفية التي يعمل وفقها الشعر الشعبي لتحقيق هذا الموضوع، الأمر الذي يدعونا للاستفسار عن أبعاد الهوية والانتماء في الشعر الشعبي الجزائري.

Abstract: Arabic poetry is distinguished by the characteristics that govern it and make it exclusive property of those who practice it, because the ancients said: "Poetry is the collection (Diwan) of the Arabs, which leads one to guess that one can to know the reality of the Arabs and the nature of their belonging and the identity of their acts and culture through poetry. And if this is so for standard classical Arabic poetry, the specificity of the structure in popular poetry, is crossed with the latter in what brings together the two genres namely the expression of the identity and the belonging, the difference existing only in representation, given that standard classical poetry is a link for the people while popular poetry is a link for the entire nation.

It is in the light of this hypothesis that our study attempts to know the ideal way that popular poetry makes the best use of the concept of identity which has been so much a favorite subject for poets, speakers, journalists and politicians, and all those who are in touch with the letters, in a society that appeals to the identity of the homeland, and to the cohesion of its subjects which has become a necessity of social development.

Thus we try through this article to define popular poetry and measure its role in the establishment and confirmation of national identity in Algerian society, using the poetry of Nadir BELFODHIL El-Relizani as a corpus to our study practice to show how this popular poetry works to achieve this goal, hence the question of the parameters of identity and belonging in Algerian popular poetry.

توطئـة:

يتميّز الشعر العربي عن غيره بخصائص تضبطه وتجعله ملكا لأهله، فقد قالوا قديما: إنّ الشعر ديوان العرب، ومعنى هذا أنّنا نستطيع التعرف على واقع العرب وخصوصية انتمائهم وهويّة سلوكهم وثقافتهم من خلال الشعر. وإذا كان هذا ما يلزم الشعر الفصيح، فإنّ خصوصية البناء في الشعر العامي تشركه وتختلف معه، إذ إنّ يكمن في التعبير عن الهوية والانتماء، وأنّ الاختلاف يتمثل في أنّ الفصيح رابط أمّة، والعاميّ رابط وطن.

بناء على هذه الفكرة الافتراضية يأتي عملنا بغية معرفة الكيفية المثلى التي يسهم فيها الشعر الشعبي في خدمة موضوع الهويّة. التي لطالما تغنى بها الشعراء والخطباء والصحفيون والسياسيون، وكل من يمتهن الكلمة، في مجتمع يناشد هويّة الوطن، فأصبح تماسك أفراده من الأولويات التي تخدم بناء المجتمع.

ومن ثمّة فإنّ هذه الورقة العلمية تحاول أن تتوقف عند عن ماهية الشعر الشعبي ودوره في تثبيت وإرساء معالم الهوّية الوطنية في المجتمع الجزائري، وتتخذ من شعر **نذير بلفوضيل الغليزاني** أنموذجا في التطبيق، من أجل الكشف عن الكيفية التي يعمل وفقها الشعر الشعبي لتحقيق هذا الموضوع، الأمر الذي يدعونا للاستفسار عن أبعاد الهوية والانتماء في الشعر الشعبي الجزائري.

ولأجل الوقوف على أبعاد هذه المداخلة، ينبغي علينا أن نتوقف على ثلاث مصطلحات أساسية في الموضوع، ثم رصد تلك العلاقة الحميمية التي تربط بعضها ببعض، ويخص الموضوع مصطلح الهوية، والانتماء، والشعر الشعبي.

1- مصطلح الهوّية:

يعدّ مصطلح الهوية من المصطلحات التي تفرض نفسها في الوقت الراهن، على مستوى عدة أصعدة خصوصا من الجانب الوطني والسياسي، وأصبح الحديث عن الوطن يلازمه مصطلح " الهوية".

إنّ القارئ للمعاجم العربية يجد أنّها تخلو من هذا المصطلح- مصطلح الهوية-، فالمتأمل في المصباح المنير، والقاموس المحيط، ولسان العرب، لا يجد مساحة لهذا المصطلح، فالمصطلح حديث النشأة والتأسيس.

وهو مصطلح– أي الهوية– مشتق من الفعل " هوى" أي سقط من عال، أو يكون معناها البئر العقر، وأنّ لفظ الهوية مصدر صناعي مركب من "هو" ضمير المفرد الغائب المعرف بأداة التعريف " أل"، ومن اللاحقة المتمثلة في ال "ي" المشددة وعلامة التأنيث"ة" (مجمع اللغة العربية، 2000: 85)

ويظهر من خلال ما قدمه مجمع اللغة العربية في تقديم لفظة " الهوية" بأنّ المصطلح في معناه اللغويّ يفيد العمق وأساس الانتماء.

وهو المعنى الذي تتضمنه المعاجم الغربية، في الانجليزية والفرنسية، حيث يستقرئ البوني عفيف هذا المصطلح، ويدرك أنّه يعني الشيء نفسه، أي الشيء الذي له طبيعة نفسها لا للشيء الآخر (البوني،05:1984)

وحاول الباحثون العرب التأسيس لمفهوم الهوية، واختلفوا في تحديد مفهومها بحسب المرجعيات الفكرية، وطبيعة الحقل المستعمل، عند السياسي، والاجتماعي، غير أنّ الحاصل في الاتّفاق هو عدم خروج جملة التعريفات عن الولاء للوطن، وتحقيق الانتماء ضمن الكيان الذي يجمع مجموعة أفراد المجتمع.

ويعرّف حسين عصام الهويّة بأنّها " **كيان يجمع انتماءات متكاملة، وهوية المجتمع تمنح أفراده مشاعر الأمن والاستقرار والطمأنينة، فالهوية القومية تمنح أبناء الأمة الشعور بالثقة والأمن، والاستقرار، وفي الوقت الذي يكون فيه المجتمع متعددا بانتماءات وفئات وجماعات عرقية أو دينية أو سياسية أو اجتماعية، يتوجب على السياسيين العمل على دمج هذه الانتماءات المتنوعة من أجل الوصول إلى هوية مشتركة تمثل مصالح الجماعة بانتماءاتها الطبيعية المختلفة**"(عصام، 1991، 13).

ويشير هذا التعريف إلى دلالات نجملها في الشكل التالي:

- هناك هوية قومية في مقابل أخرى وطنية.
- هناك علاقة بين هوية المجتمع وانتماءات الجماعات أو الفئات.
- الشعور نحو الهوية والانتماء هو الذي يحقق الأمن والاستقرار والطمأنينة.
- تعدد الانتماءات يوجب الوصول إلى هوية مشتركة (وهو عمل السياسيين).

ووصل تحديد مفهوم الهوية عند بعض الباحثين إلى تخصيصها بتلكم الصفات التي يتحلى بها الشخص وتميزه عن غيره فهي " **حقيقة الشخص المتضمنة صفاته الجوهرية، والتي تميزه من غيره وتجعل له ذاتا مستقلة**"(خضر، 71،2000)

والهوية هي " شعور الشخص بأنه نفسه، نتيجة اتساق مشاعره، واستمرارية أهدافه ومقاصده، وتسلسل ذكرياته، واتصال ماضيه بحاضره ومستقبله"(العيسوي،16،2002).

و يكون تشكل الهوية القومية من إرساء معالم الهوية الوطنية، يقول حسن الكحلاني فيما نصه: "**تعد الهوية الوطنية الخيط الذي ينتظم به أفراد الوطن أو الأمة أو القومية، مهما اختلف الزمان والمكان ليكوّن عقدا يقوي وحدتهم وتماسكهم، وبهذا فإنّ الهوية الوطنية بمثابة الإطار الرمزي لولاء أعضاء المجتمع لخصائصه السائدة فيه**"(الكحلاني).

ويظهر من هذا النص بأنّ الهوية الوطنية تميزها عن القومية تلكم السمات والخصائص المشتركة التي تميز وطن من غيره، يعتز بها أفراده وتشكّل جوهر وجودهم.

ويرتبط تحديد الهوية الوطنية في الجزائر بمدى الأحداث التي عاشتها، حيث كانت الهوية دينية في العهد العثماني، فظل الشعور الديني حاضرا في جميع النشاطات الجماعية، ويأخذ طابعا خاصا في المدن، التي تتميز بكثرة مساجدها ومدارسها.

وعن الهوية في العهد العثماني، الذي يمثل مرحلة هامة عشتها الجزائر، نورد نصا لأبي القاسم سعد الله يقول فيه: " ويرجع سبب هذا أيضا إلى تتريك الثقافة الرسمية، ومنه برز المفهوم الجديد لبناء شرعية ثقافية وسياسية تخدم الدولة العثمانية متجاوزة بذلك الهوية الجزائرية"(سعد الله،223،1985)

ومما يستفاد من قول سعد الله أنّ الدولة العثمانية عملت على تغيير الهوية الثقافية الجزائرية، لكي تحصل في ذلك على عوامل تخدم أجندتها السياسية.

والأحداث التاريخية التي عاشتها الجزائر فرضت العناصر الثلاثة المكونة للهوية الجزائرية، والمتمثلة في العروبة والإسلام والأمازيغية.

وتحديد الهوية الفردية يكون انطلاقا من الهوية الجماعية، هذه الأخيرة التي تعتبر هوية شمولية، تطبع وتخصص للذات التي هي الهوية الفردية(بوزيدة،14،1996).

2- معنى الانتماء:

نلتقي أيضا في هذه المداخلة مع مصطلح الانتماء، الذي سنعمل على توضيح معالمه، وتحديد ما معنى أن ننتمي؟.

والانتماء لفظ مشتق من الفعل انتمى، فيقال انتمى فلان إلى فلان، إذا ارتفع إليه في النسب (فاروق،1998: 14).

وهو مفهوم لغوي تعلق فيه معنى الانتماء بالنسب، حيث إنّ الانتساب إلى الأجداد هو الرابطة الرئيسية في ظاهرة الانتماء، وعظمة الأجداد الأمجاد ترفع منزلة أبنائهم وتمنحهم الثقة الدافعة إلى الفخر والاعتزاز بالنفس والآباء. و" الانتماء بصفته ظاهرة إنسانية متطورة بالجدل الإنساني، لا يلزمه الوعي بحقيقة وجوده، فالانتماء في الأصل موجود بقوة وجود ناس تربطهم علاقة ما، ومحدد بزمان ومكان معينين"(نجلاء:57). وبحسب هذا التصور، فالانتماء مطبوع في إنسان، له مشاعره الخاصة وصفاته التي تجعله يشعر بأنّه ينتمي إلى مجموعة معينة.

والانتماء هي النزعة التي تدفع الفرد للدخول في إطار اجتماعي فكري معين، بما يقتضيه هذا من التزام بمعايير وقواعد هذا الإطار ونصرته والدفاع عنه في مقابل غيره من الأطر الاجتماعية (فاروق، 132:1998)

ويعد الانتماء إلى الأسرة النقطة الأساس في بناء المفهوم العام للانتماء، " فكل إنسان ينتمي إلى أسرة تنجب في الغالب أفرادا يبنون أسر جديدة، والأسر الجديدة ذات الأصل الواحد والظروف والأهداف المشتركة، تؤلف مجتمعة أسرة كبيرة"(زياد،17،1994)

ويتضح من التعريفين السابقين بأنّ الأسرة هي التي تدفع إلى تشكل ما يسمى بالانتماء إلى الجماعة، بحكم أنّها اللبنة الأساسية التي يشكل منها بناء المجتمع الذي يسيطر على أفراد صفات وخصائص تميزهم عن آخرين في مجتمعات أخرى.

ويرتبط الانتماء بالمكان ارتباطا وثيقا، فالمكان هو الكاشف والمحدد لطبيعة المنتمين، فالمكان العربي (الوطن العربي) هو الأرض الذي شهدت ولادة الأمة العربية، واستقرار أبنائها وتطورهم بالجدل الانتسابي من حال إلى حال.

وتتحقق ثنائية (الهوّية، الانتماء) بفضل آليات وأطر، تتكفل بهذه المهمة، وإثبات الهوّية في أيّ مجتمع لا يكون من العدم، أو بفطرة سليقيه، بل لا بد أن تكون هناك وسائل تسند لها هذه المهمة، سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

ولعل من هذه الآليات، فيما اصطلح على تسميته بالشعر الشعبي، هذا التعبير أو اللغة بالمفهوم العلمي، لا يختلف حول دوره وأهميته في المجتمع.

3- الشعر الشعبي

الشعر الشعبي شكل أشكال التعبير في الأدب الشعبي، يعبر بعاطفة صادقة عن مضامين مختلفة. وإسناد تسمية " الشعبي" إلى هذا الشعر، يوضح أنّه يُستوحى من الشعب على اختلاف طبقاته، ويفيض بروحه ويعبر عن ذوقه ومشاعره، حيث يصور مستوى الحياة والثقافة.

وساهم الشعر الشعبي إلى حد كبير في المحافظة على الإرث من الزوال والضياع، حيث جعل شعراءه صوتا للشعب، يقوم بدور توجيه الناس، وتوعيتهم والتعريف بالقضايا الوطنية والاجتماعية.

ويرى زياد توفيق أنّ الشعر الشعبي جزاء من التراث الشعبي، الذي يجب المحافظة عليه، " فالأدب الشعبي يضم فنونا وكنوزا لا تعد ولا تحصى، وحرام أن تضيع وإن جمعها وتعميمها هو واجب ثقافي ذو مضمون إنساني ووطني من الدرجة الأولى"(زياد، 50:1994)، وهو كلام يرمي أنّ هوية الأوطان في تراث شعبها، الذي يبرز ملامح وخصائص وصفات الأفراد الذي يجتمعون ليشكلوا وطنا.

والشعر الشعبي هو " **ذاكرة الشعب التي تختزن همومه وأشواقه وهو الصورة الحقيقية لواقع المعيشة، يصاحبه في أفراحه فيعبر به عن النشوة العارمة التي تهزه وهو يأخذ من حياته نصيبا من البهجة ويواكبه في صراعاته اليومية**"(يلس،07و08)

وشعر الشاعر الشعبي هو " **سجل للحياة الاجتماعية البدوية التي تسود منطقة ما، ويقدمها كلوحة فنيةبريشة رسام ماهر يجمع فيها كل المآثر الحميدة تنسجم فيها الصور بل تتحرك فيها الشخصيات وتتشخص فيها الخيم والمرابع**"(حرب،63،1999)

ولغة الشعر الشعبي اللهجة العامية " لأنّ أغلب من يقوله العامة والخاصة الذين يميلون للهجة العامية السائدة، ولم يقتصر قوله على أبناء البادية بل على الأحضرة والبادية إذ فهو أكثر شعبية، إذا فهو شعر شعبي"(بلفضيل، مقابلة).

4- الهوية والانتماء في شعر نذير بلفضيل:

يعدّ نذير بلفضيل أحد الشعراء الذين يكتبون الشعر الشعبي بولاية غليزان، ولد يوم 21 أفريل 1960 ببلدية سيدي لزرق، ترعرع ونشأ في عائلة محافظة، واشتهرت عائلته بشاعرين كبيرين، وهما محمد بلفضيل والمنور بلفضيل، وكان والده بلعربي شاعرا.

وتعلم نذير الشعر على يد والده، الذي تعلق به، وأصبح مهتما بهذا العالم- أي الشعر- على حساب الدراسة، وساهم ولوعه بالشعر في تتبعه ومعرفة غايته وطريقة كتاباته، فكان يألف استماع الشعر في المذياع والتلفاز، ومكنت تلك المتابعة من تكوين قريحة للشاعر، صقلت موهبتة، وجعلته أحد الأقلام الشعرية في ولاية غليزان.

كانت بدايته الفعلية يف كتابة الشعر عام 1980، حيث كان آنذاك في الخدمة الوطنية، وكتب أول قصيدة بعنوان " ذكريات"، ليشق لنقسه طريقا في هذا العالم، وكتب في أغراض متعددة ومختلفة. ووصل منتوجه إلى 200 قصيدة، ويستمر اليوم في كتابة الشعر الشعبي (بلفضيل، مخطوط).

5- دور شعر نذير بلفضيل في إرساء وإثبات الهوية:

- **الوطنية عند نذير بلفضيل:**

إنّ القارئ لشعر نذير بلفضيل يدرك ما مدى اهتمامه بقضايا الوطن ومفهوم الوطنية، وهو اهتمام جاء ليظهر دور الشاعر الشعبي في المجتمع.

وقد اهتم الشاعر بلفضيل نذير بقضايا الوطن، وهذا ما أدى به إلى الإلمام بأجزائها، وما يتصل بها من أمور، وما يحيط بها من ظروف وما يؤثر فيها من عوامل. فهو في قصائده تراه ذلك الإنسان المرتبط بتاريخ مجتمعه ووطنه، يغني لانتصاراته، ويرثي لمآسيه.

وتظهر قريحة الشاعر أنّه كتب قصائد متعددة عن الوطنية، وبالأحرى ما يظهره شعوره الوطني، ومن تلك القصائد نذكر: " ثورة الجزائر"، و" الذكرى الأليمة"، و" عيد بلادي"، و" عيد وذكرى"، " الغالية"، " نوفمبر"، "مأساة شعب"، و" جواب".

ومما قاله الشاعر نذير بلفضيل في الوطن، هذا المقطع من قصيدة عنوانها " ثورة الجزائر"(بلفضيل، قصيدة مخطوطة):

بِسْمِ اللهِ بْدِيتْ نَنْظَمْ دُو الأَشْعَارْ وَالصَلَاةْ عَلَى النْبِي الطَاهَرْ
بَعْدَ صَلاَةْ الرَّسُولْ نَحْكِي لَلْحُضَارْ نَحْكِي لِيْكُمْ مَا صْرَا لِلْجَزَايَرْ
الجَزَايَرْ الغَالْيَا مَهْدْ الثُوَارْ تَارِيْخْهَا مَا زَالْ مَرْسُومْ مْسَطَرْ

وواضح أنّ الشاعر يريد الافتخار بتاريخ الجزائر المجيد، وهو تاريخ يشكل هوية الفرد الجزائري، فيصبح من معجم تعريفه أنّه يعيش في وطن ضحى بالنفس والنفيس من أجل استقلاله وحريته، وتلك الخصوصية التي تميز بها جيل الأمس وكأنّها من خصوصية فرد اليوم، ومن ثمّ يكون التاريخ مشكلا لهوية الأشخاص، وبذلك يريد من شعره الشعبي أن يكون صانعا لهذا الفرد، تذركا لماضيه، وأنّه لا بدّ أن ينسلخ من تلك المواصفات التي تميزت بها الشخصية الثورية.

وفي قصيدة " الذكرى الأليمة المخطوطة:

يَا شَعْبْ بْلَادِيْ اسْتَرْجِعْ " الذِكْرَى" وَتْفَكَرْ مَا فَاتْ وَتْفَكَرْ مَا " صْارَ"
وَتْفَكَرْ يَا شَعْبْ سْنِينْ العَسْرَة عَلَى هَذَا الوَطَنْ طَالْ الهَمْ وَجَارْ
كَانَتْ فِيْهِ حْيَاةْ ذَا الْأُمَة مُرَّة وَشَعْبْ بْلاَدِيْ كَانْ يَتْغَدَّى فِيْهْ الْأَمْرَارْ

وله قصيدة أخرى، عنوانها " نوفمبر" جاء في مطلعها:

يت نوفمبر عيدنا أغلى ذكرى نتحدث بشانك عن نطق لساني
نحتفلوا بذكراك في السنة مرة بقدومك فارحين الأحباب تهنى
درنا بك الفال وبدت الثورة على أساس متين بالقوة مبني
ثورة التحرير ثورتنا كبرى قاموها الأبطال ضد النصراني

والشاعر نذير بلفضيل في هذه القصائد الثلاث يريد أن يشارك قرنائه في تشكيل الهوية الوطنية، فاتخذ من الوطن عالما، كتب في قضاياه، فهو إذ ذاك عندما يتحدث عن نوفمبر، إنما يريد أن يعيد بالذاكرة التاريخية إلى مطلع نوفمبر 1954، لينقل تاريخ هذا اليوم، الذي غيّر مجرى الحياة في تاريخ الجزائر المستعمرة، وهو في هذا المنحى يكون قد ساهم إلى حد كبير في تلقين شباب اليوم تاريخ الوطن، وتاريخ الوطن هو

هويته، فنوفمبر كان الخيط الذي انتظم به أفراد المجتمع الجزائري، وهو ما يتقاطع مع مفهوم الهوية التي هي " الخيط الذي ينتمي به أفراد المجتمع".

من جهة أخرى فإنّ الشاعر في تناوله لموضوع الوطن في قصائد عديد ومختلفة المضمون إنّما ساهم في الحفاظ على الإرث التاريخي الذي يتميز به المجتمع الجزائري. فالجزائري في ذلك له مميزات تخصه عن باقية أفراد المجتمع العربي، بحكم أنّ علاقة الجزائر مع نوفمبر هي علاقة وصل مع فاتحه، ولكل أمة أيامها، كما تميزت العرب بأيامها.

والشاعر نذير بلفوضيل لا يكتفي بهويته الوطنية، بل تعدى ذلك إلى الهوية القومية، فقد عبر الشعر الشعبي عند عن قضايا الأمة العربية، مثلما نجد ذلك في الشعر الفصيح، ولعل من الموضوعات التي تنبها لك الشاعر نذير القضية الفلسطينية، التي كتب عنها قصيدة سماها " شعب الحجارة"، وهي مخطوطة جاء في مطلعها:

راهو مهموم خاطري وانزاد بلاه مهوّل يا خاوتي والقلب احزين
متّروع محتار عقلي راهو (تاه) بعض من المرات يجري دمع العين
نتأسف كثير عن ما شهدناه ما راهوا يصير داخل فلسطين
لي قلبو حنين يبكي من ماراه اعلى ما لقاه ذا الشعب المسكين

ويحاول الشاعر نذير بلفضيل في هذه القصيدة التأكيد على أهمية الشعور القومي العربي، حيث بتناوله لموضوع القضية الفلسينطية يكون قد ساهم في دفع المتلقى إلى الإحساس بهذا الشعور، إتجاه فلسطين، التي شكلت على منذ زمن مادة الشعر العربي بضربيه الفصيح والعامي. وهو بذلك يكون قد أسهم في تكوين هذا الشعور وخدمة الهوية القومية.

- **الشعور الديني في شعره (النزعة الدينية)**

لا يختلف اثنان في أنّ الدين يعتبر من مكونات هوية الفرد، والدين عامل أساسي في إبراز الشخصية التي تميز الفرد في مجتمع ما عن غيره، وهي الخصائص التي تشكل هويته وتفرده عن نظرائهم في الأمم الأخرى.

وتبرز النزعة الدينية في شعر نذير بلفضيل من خلاله نظمه فيما يسمى بالمديح النبوي، هذا الغرض الشعري، الذي يحاول فيه أن يعرف المتلقي حقيقة انتمائه، حيث نظم في هذا الغرض أربع قصائد، كلها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وهي: " المصباح"، و "مولد الهدى"، و" مصباح الدجى"، و " المبعوث".

ومن هذه القصائد، نورد مطلع قصيدة " المصباح" التي جاء فيها:

سبحان لي الأمر والقدرة يبدو يسير في ذا الكون بحكموا كي راد
ما يبخل بشي طلبوا عبدو بلّي هي صالحة عنّا جوّاد
بعد أن كان الجهل جاير بسوادو انعم بعلمو على خير العباد
علّم هذا العلم وبقى من بعدو نوره في ذا الكون ما يطفى وقاد

- **خصوصية اللهجة في شعره:**

تعد اللهجة من مكونات الهوية، وهي معيار في تصنيف الانتماء، بحكم أنّ السامع يعتمد على ضبط انتماء من يتواصل معه، انطلاقا من خصوصية لهجته. التي هي مجموعة من الصفات اللغوية، وتنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع. ومن ثمّ فإنّ المهتمين يتفقون على تعريف اللهجة بأنّها هي العادات الكلامية لمجموعة قليلة من مجموعة أكبر من الناس تتكلم لغة واحدة.

فالتقسيم اللّهجي يرجع إلى إحساس حقيقي لدى سكان الإقليم الواحد، إحساس بأنّهم يتكلمون بصورة ما ليست هي الصورة التي يسير عليها سكان الإقليم. (فندريس،1950،213).

وعليه فإنّه ثمّة ضرورة ثقافية اجتماعية للهجة، وهي الحفاظ على وحدة المجتمع، حيث إنّه وعلى الرغم من أنّ هناك ميلا لدى كل جماعة نحو تطوير مميزات أو خصوصيات فإنّ البناء الصوتي الذي يشكل البناء الفونيمي يشمل الجماعة ككل، ويؤثر في متحدثيها، بحيث يؤدي إلى صعوبة إدراكهم لأية أصوات لا يعترف بها البناء الفونيمي للغة الأصلية (محمد حسن،2012)

والشعر الشعبي هو شعر لهجي، بحكم أنّ اللهجة هي لغته، ولذلك تمثل خصوصية الشاعر.. هذه الخصوصية التي تميزه عن غيره. ففي الوطن نجد عن الاختلافات الحاصلة بين الأشعار الشعبية تكمن في الكلمات الدالة، وهي التي تعبر عن خصوصية لهجة في إقليم ما عن الآخر.

واللهجة هي مكوّن الانتماء، هذا الانتماء الذي يشير إلى بيئة الشاعر والأفراد الذين يستقبلون نصوصه، ومشاركة الشاعر في ذلك تأتي من إعطاء حياة لهذه المفردات التي تحملها اللهجة، وهي حياة، أن تعكس استمرارية هوية مجتمع ما، المتكلم بها والناطق لمفرداتها، استعمالا وتخاطبا.

والقارئ لشعر نذير بلفضيل يرى أنّ اللهجة الجزائرية والغليزانية في خصوصيتها واضحة الوجود.

والحق إنّ الشعر الشعبي المعتمد على اللهجة الممزوجة بين الدرجة والقريبة من الفصحى إنّما هو في ذلك يعمل على ترسيخ طبيعة الهوية التي تتخذ من اللهجة إشارة إلى البيئة التي ينتمي إليها الشاعر. حيث الشعر في ذلك يمثل لطبيعة تلك البيئة.

وتؤثر البيئة في تكوين لهجة الشاعر واضح الدلالة، وتتصل اللهجة بالانتماء اتصالا وثيقا، فإذا كانت الوطنية معيارا لتحديد طبيعة الهوية، فإنّ اللهجة عامل مهمّ في تفصيل هذه الطبيعة وتوضيح خصوصية الهوية.

واللهجة الجزائرية في شعر نذير بلفضيل سليلة اللغة العربية الفصحى، كما هو حال اللهجات العربية.

إنّ الظواهر اللهجية وعلاقتها بالفصحى، وبالدخيل الفرنسي أو الاسباني أو التركي (الاحتلال)، طبع على اللهجة الجزائرية خصوصية في مستوياتها اللغوية الصوتية والتركيبة والدلالية.

وعلى المستوى الصوتي تتجلى في شعر نذير بلفضيل ظاهرة **الإبدال**، حيث تتغير تركيبة المفردة، والإبدال في شعره يكون مثلا بين اللام والهمزة، فعوض أن ينطق "الأمان"، يقول الشاعر "لامان"، وقلب الهمزة ياء في كلمة " جائر"، فنطقها " جاير".

ومن الإبدلات الموجودة في شعره والتي تمثل خصوصية اللهجة الجزائرية، قلب الهمزة ألفا، كما الحال في كلمة " رأي"، التي يستعملها في التركيب بـ " الراي"، فيقول:

المَشُورَة وَالرَّايْ وَلَاوْا لَلْجَاهَلْ ... والعَالمْ مَا يْفِيدْ فِيهَمْ بِالمَعْلُومْ.

وهذا البيت التي نمثل له من قصيدة " أحوال الناس"، التي كتبها الشاعر في 02 جوان 2010، يعبر عن خصوصية المستوى الصرفي، ورغم الشاعر في هذا البيت أراد أن يعبر عن الشورى والرأي إلا أنّهما قابلهما بصيغة الجمع" ولاّوا"، وهو ما يعبر عن أنّ هذه اللهجة لا تتوفر فيها " صيغة المثنى".

والنظر في خصوصية اللهجة التي يمثل شعر نذير بلفضيل والشعر الشعبي في الجزائر عموما، إنّما هو نظر يحتاج إلى دراسة للوقوف على هذه الخصوصية التي تضطلع بها هذه اللهجة، ذات الأبعاد في تحديد الهوية الجزائرية.

خلاصة:

يتضح في ختام المقال أنّ جهود الشعر الشعبي في تثبيت الهويّة الوطنية لا يستهان بها، وأنّه كان أداة فعالة في تحقيق من ذلك، فهو يعكس هوية شعب من خلال تاريخه، ولهجته، وثقافته، وسلوكه، ولما يتغنى الشاعر الشعبي بذلك فإنّه يريد المحافظة على هذا الطبع، وتلك العادات التي تنماز بها الشعوب عن بعضها البعض، الأمر الذي يدعونا إلى القول إنّ الشعر يعتبر وثيقة مهمة يرجع إليها المجتمع لمعرفة تاريخ وطنه، والتعرف على خصوصيته في التكوين، فكان الشاعر الشعبي متصلا دوما بقضايا وطنه.

بيبليوغرافيا:

1) بوزيدة عبد الرحمن: قراءة ثقافية للأزمة، في الثقافة، مصر، عدد2، 1996.
2) البوني، عفيف: في الهوية القومية العربية، مجلة المستقبل العربي، ع57، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان شباط، 1984.
3) حرب، طلال: أولية النص، نظريات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1999.
4) حسين، عصام حسين أحمد: إدراك الهوية القومية لدى الطفل المصري، (رسالة ماجستير)، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين الشمس، 1991.
5) خضر، لطيفة إبراهيم: دور التعليم في تعزيز الانتماء، عالم الكتب، القاهرة، 2000.
6) زياد توفيق: صور من الأدب الشعبي، مطبعة أبو رحمون، ط2، عكا، 1994.
7) سعد الله، أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي. م.ز.ك، الجزائر، ج1، 1985.
8) العيسوي، عبد الرحمن: نظريات الشخصية، دار المعارف الجامعية، الاسكندرية، مصر2002.
9) فاروق، أحمد سليم الانتماء في الشعر الجاهلي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998.
10) فندريس: اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخيلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو مصرية، 1950.
11) الكحلاني، حسن: الهوية الثقافية الوطنية (رؤية مستقبلية)
12) لزرق، بلفضيل: مقابلة شخصية مع الشاعر بلفضيل لزرق، يوم 15 ديسمبر (بمنزله في ولاية غليزان).

13) لزرق، بلفضيل: مجموعة قصائد مخطوطة.

14) نجلاء، عبد الحميد راتب: الانتماء الاجتماعي للشباب المصري، مركز المحروسة للنشر، القاهرة.

15) محمد حسن محمد: اللهجة والهوية الثقافية، موقع الألوكة، تصفح يوم 2018/11/23 .

16) مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، 2000.

17) مقنونيف، شعيب: مباحث في الشعر الملحون الجزائري، منشورات مخبر عادات وأشكال التعبير الشعبي بالجزائر، دار الغرب، وهران.

18) يلس، جلول والحفناوي أمقران: التراث الشعبي، المقاومة الجزائرية في الشعر الملحون، ش.و.ن. الجزائر.